الضياء
بهرا

شهداؤنا الأبرار اكبر من مقاييس التوصيف والتصنيف

حميد الموسوي

نخب مختارة، عينات منتقاة، ونماذج فريدة تجود بها ارحام العراقيات الطاهرات على امتداد ازمنة التاريخ العراقي بعهوده الغابرة، وقرونه المتوالية وحقبه المعاصرة، فمنذ ان زرع الله تعالى في نفوس العراقيين بذرة رفض الذل والاستعباد وهذه البذرة تورق عنفوانا وتثمر ثورات غاضبة تهز عروش الطواغيت والمتجبرين والمستبدين والظلمة، ثورات عارمة عبرت اصداؤها الآفاق لتعلم شعوب الأرض معنى الرفض وكيفية انتزاع الحقوق. ولما كان لكل لهب وقوده، ولكل نور شموعه، ولكل انتصار ثمنه فان شهداءنا الابرار هم وراء ذلك كله، وهم صناع مجد العراق التليد وبناة حاضره المعاصر المجيد. وسواء قطعت أوصالهم السيوف الباغية ورضت صدورهم الخيول الغازية، او مزق اجسادهم رصاص الفصل العنصري والحقد الشوفيني، او ارجحتهم مشانق الانقلابات المشبوهة او سحقتهم في قراهم دبابات الاحكام العرفية المستهترة بابسط القيم الانسانية، او اكلتهم مجاعات القهر والتجويع والحصار المصطنعة، او طحنتهم ماكنة الحروب المزاجية. او ابتلعتهم مقابر "الضرورة" الجماعية، او خنقتهم غازاته الكيميائية وسمومه التجريبية، او غيبتهم مطاميره وزنزاناته المظلمة، وسواء احرقتهم مفخخات الكهوفيين او اذابتهم عبوات وهاونات الارهابيين، الموتورين منهم والمدفوعين، ومن تضررت مصالحهم من سقوط السلطة السابقة او الذين باعوا انفسهم لتنفيذ مخططات الاجنبي.

هؤلاء الشهداء الأبرار على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وانحدارهم المناطقي والعشائري والديني، سواء قضوا ثوارا مستبسلين، او محاربين صامدين او قضوا متمردين رافضين او أبيدوا مظلومين مستضعفين صابرين محتسبين صاروا ويبقون وسيبقون اساس وجود العراق ومنجزاته على مر العصور وصارية علم العراق وان تغيرت الوانه، ورمز شعار العراق وان تبدلت وتجددت وتطورت تركيبته. واذا كانت زمر الانقلابات قد اسست لثقافة الغاء الاخر. واقصائه وتهميشه لدرجة التطاول على رموزه وشهدائه، والصاق مسميات "العمالة والتخوين على ضحاياهم من الشهداء الابرار من الحركات والاحزاب التي تتقاطع معهم او تخالفهم الرأي او التي ترفض طروحاتهم الاجرامية او يطلقون تسمية "الموتى او القتلى" على شهداء الاطياف الاخرى بسبب الخلاف الديني او العرقي او الطائفي، مع ان اسباب الاستشهاد واحدة، وظروفها متناظرة!. واذا كانت للفترات السابقة تداعياتها فمن الاولى ان لاتمس هذه التداعيات شهداء العراق بكل اطيافه، ولاتسيء من بعيد او قريب الى تاريخ تضحياتهم بغض النظر عن اديانهم او معتقداتهم او قومياتهم او مذاهبهم او مشاربهم او ظروف استشهادهم فقد جادوا بارواحهم الطاهرة ونفوسهم النبيلة، والجود بالنفس اقصى غاية الجود. ومع ان ذكرى شهداء العراق الابرار يجب ان لا تغيب لحظة عن خواطرنا وان تزين كل مناسباتنا ومهرجاناتنا واحتفالاتنا الا ان الذي دفعنا والح على اقلامنا هو تعامل وتعاطي بعض الدوائر بهذا التميز والتصنيف غير المنصف لارواح الشهداء، وذلك في مجال تفضيل ذوي الشهداء في بعض درجات التوظيف في حرب اجبروا على خوضها خلال حقب السلطة السابقة او الذين استشهدوا تحت وابل القصف العشوائي على المدن والقرى العراقية في تلك الفترة واستكثار لقب شهيد عليهم، وهذه مثلبة مشينة لا تليق بالعراق الجديد وبرجالاته ولا تنصف ارواح شهدائنا التي اقل ماتستحقه هو الذكرى الطيبة من الذين قطفوا ثمار تضحياتها وتنعموا ببركات دمائها.

ولكي نرضي ارواح شهداء العراق، ومن باب العرفان والمروءة ان تخص الدولة وتفضل ذوي الشهداء وتجعلهم في اولويات اي مشروع سكني او خدمي او توظيفي او اعتباري، وان تعمم الحكومة على كافة دوائرها بالنظر الى الشهداء البررة بعين واحدة وتضعهم جميعا في مكيال منصف واحد.

> **هؤلاء الشهداء الأبرار على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وانحدارهم المناطقي والعشائري والديني، سواء قضوا ثواراً مستبسلين، او محاربين صامدين او قضوا متمردين رافضين او أبيدوا مظلومين مستضعفين صابرين محتسبين صاروا ويبقون وسيبقون اساس وجود العراق ومنجزاته على مر العصور وصارية علم العراق وان تغيرت الوانه، ورمز شعار العراق وان تبدلت وتجددت وتطورت تركيبته.**

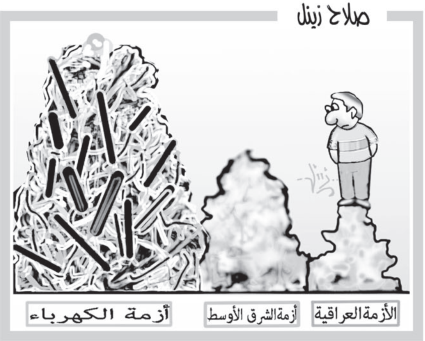

الدستور... تصنعه الديمقراطية

د. غضنفر حكمت الشيخ

القانون.. وحده يحكم البلد ووفق "الدستور".

الدستور هو الاساس.. والمؤسس للقوانين.. وهو الحجر الاساسي للدولة.. وهو "الوثيقة الانسانية" التي تمكن المواطن من التمتع بحقوقه كاملة وعلى اتم وجه وبنفس الوقت تعده لتادية كل ما عليه من واجبات.

الدستور يضمن حق السلطات في اصدار القرارات الى الحكومة نفسها، وهو الذي يعرف الحكومة التي ستحكم وطريقة انتخابها وتحديد دورها وبين الامور التي لا تستطيع الحكومة القيام بها. ويضمن الدستور المساوات بين الناس امام القانون... ويقر ان لا لاحد ولا لمؤسسة تملك القوة لتحكم وتتحكم بشكل استبدادي لمصادرة الحريات.

الدستور تصنعه "الديمقراطية" والديمقراطية لن تاتي الا لتحدث تغييرات في البلد... ولن تحكم الا بالقانون ولا احد فوق القانون.

تضع الدولة دستورا لها استجابة لتغييرات هامة تستوجب كتابة دستور يتلاءم والمرحلة الجديدة التي يمر بها البلد، وعلى سبيل المثال كتب الدستور الاميركي في الولايات المتحدة الاميركية بعد حرب الاستقلال بين "١٧٧٦ - ١٧٨٣ م" وطور الدستور الالماني الجديد بعد الحرب العالمية الثانية وفي اوروبا الشرقية الشيوعية كتبت عدة مسودات في الدساتير بعد سقوط الانظمة فيها، وفي العراق الجديد كتب الدستور الحالي من قبل الجمعية الوطنية بعد ان اجريت انتخابات من قبل الشعب في كانون الثاني/ ٢٠٠٥ م بعد دخول "الديمقراطية" الساعية الى رفض التعنصر وتهذيب الاداء عبر المصداقية لتحقيق التمثيل الحكومي الوطني لعموم شرائح ومكونات الشعب العراقي ومن اشد الامور خطورة هو الالتباس في تفسير مفاهيم الديمقراطية واعتماد الخلط بين الوضوح والغموض لتمرير دوافع ذات نوايا مصلحية وادعاءات لا تقرها قوانين وانظمة العصر بحجة "الغالبية" لثني الشرائح الاجتماعية الاخرى وربما قد يصل الحال الى تهميش مبطن والغاء دور لبعض مكونات الشعب العراقي، في حين ان الحكم في ظل الديمقراطية يعطي الاولوية لحكم الشعب وابتداءا من "الفرد" من "المواطن" الذي هو الاساس واللبنة الاولى لبناء النظام الحكومي واقامة الدولة.. الفرد المواطن هو الاساس في شرعية الدولة العصرية اي دستور هذا الذي نتحدث عنه ونحن نروج قوانينه بامر الاغلبية... ونسن الشرائع بقرار الاغلبية... ونحكم الشعب باسم الاغلبية... ويبقى الصوت يسود للاغلبية وتبقى الاغلبية وحدها تهتف وتصفق تحت شعارات الديمقراطية.

واي ديمقراطية هذه التي تتحكم باسم الاغلبية...؟؟

ان الساسة الاحداث لن يدركوا بعد خطورة هذا الهيام... ولعلهم يتداركون هذا الامر قبل فوات الاوان... الساسة الكبار هم وحدهم القادرون على التمييز بين الديمقراطية وبين الديكتاتورية وهم الادرى في كيفية تبويب الغالبية المتحكمة في ظل الديمقراطية ضمن الاطار الجديد المتداول حديثا والذي اطلقنا عليه "ديكتاتورية الديمقراطية" والذي اسوأ ما يسيء الى السياسي المحنك وهو امام هذا التخبط الارتجالي في الحرم القانوني وبين الاوساط السياسية عالميا واقليميا.

الدستور هو الذي يحدد سلطة الحكومة لكي لا يساء استخدامها ولمنع لعب دور المدعي.. والقاضي.. والمنقذ.. في آن واحد.

اخذ الدستور انواعاً من حيث الثبات، هناك الدستور المرن واخر الدستور الجامد. المرن هو الذي يقبل التغيير والتعديل بسهولة، بينما الجامد الذي لا يسمح للتعديل او التبديل الا بشروط وقيود صارمة.

وعلى العموم اتفق المختصون ان الدستور لا يمكن التلاعب به او تغيير فقراته وانما يمكن اجراء التعديلات على بنوده بسهولة كونه يختلف عن القانون.. ولأجل تغيير قانون معين نحتاج الى "٥١ بالمئة" من اعضاء البرلمان، اما في حالة تعديل الدستور نحتاج الى اغلبية ثلاثة ارباع "٧٥ بالمئة" او غالبية الثلثين "٦٧ بالمئة" من اعضاء البرلمان والى استفتاء عام.

ويتكون كل دستور في دول العالم من عدد من الفقرات، فمثلا الدستور الاميركي يتكون من "٣٣" بنداً بعد ان كان "٧" سبعة بنود وتم التعديل عليه، والدستور الاوربي الجديد يحتوي على "١٧٧" بندا، والدستور الافغاني يحتوي على "١٦٢" بندا، ويحتوي الدستور الالماني على "١٤٢" بندا، اما الدستور الهندي فهو اطول دستور ويحتوي على "٤٨٧" بندا بعد تعديل "٩٢" بندا عليه، اما بخصوص الدستور العراقي المؤقت لادارة الدولة العراقية يتكون من "٦٢" بندا.

هناك عناصر يجب توفرها في الدستور، ولكن في حقيقة الامر لا يوجد دستور نموذجي وان اغلب الدساتير في العالم تحوي على الاقسام التالية:

اولا: الديباجة "المقدمة". وهي مقدمة تعريفية للدستور تصف فيه اهدافه وتمثيل السلطة ونوع هذا التمثيل.

ثانيا: تركيب الحكومة وتحديد نوعيتها "ملكية ام جمهورية" وتقسيمها الى ثلاث سلطات

١. التشريعية "البرلمان" اي مجلس النواب.

٢. السلطة التنفيذية "الوزارات والادارة".

٣.السلطة القضائية المتمثلة بالمحاكم التي تصدر احكاما جزائية لمعاقبة المسيئين والمقصرين ولمنع الاشخاص والجماعات المعينين من الانحراف او حكم البلد حسب رغباتهم والتاكيد على خلق التوازن في الدولة.. والفصل بين السلطات الثلاثة، والالتزام بحماية الحقوق الانسانية المتمثلة في:

أ. الحقوق الاساسية وهي حقوق الناس في التعبير عن الاراء والكلام بحرية مهذبة في معارضة الاداء الحكومي او انتقاد الحكومة نفسها وفق معايير وموازين منطقية وموضوعية خدمة للمصلحة العامة.

ب. الحقوق الفردية الخاصة بالفرد منها حق الديانة والمعتقد والحق في اداء الشعائر وحق اقامة محاكمة عادلة ضد اي جهة تقوم بالقاء القبض على اي فرد بمجرد ادانته لشخص خرق القانون وان حصل ذلك يكون بامر من المحكمة وليس من شخص مسؤول في الدولة.. كثيرة هي الحقوق المتعلقة بالانسان ومن المستحيل احصاء جميع الحقوق وذكرها في الدستور...

ولكن بنفس الوقت ومن المستحيل ايضا اغفال الحق الانساني، والالتزام بحصص العنصر النسوي واجب اساسي يتصدر الخطوات لتثبيت واعلاء اركان الديمقراطية التي دفع ثمنها المجتمع العراقي وبنصفيه المتمثل في المرأة والرجل على السواء رغم ان معاناة المرأة في النضال كانت اشد قساوة.. واكثر مرارة وهذا ما يشهده تاريخ العراق القديم والحديث.

ماهي الثقافة...؟

بقلم خوشابا سولاقا

ان المفهوم الفلسفي والفكري والاجتماعي "للثقافة" هي كونها نظرة عامة وشاملة الى الوجود والحياة والانسان، وقد يتجسد ذلك في عقيدة معينة او في تعبير فني بشكل من الاشكال او في مذهب فكري او اجتماعي او في مبادىء تشريعية او في مسلك اخلاقي عملي، وبالتالي تعني الثقافة بشكل عام كونها البناء العلوي اي الفوقي للمجتمع الانساني ويتألف هذا البناء من الدين والفلسفة والفن والادب والتشريع والقيم الاخلاقية والاجتماعية العامة السائدة في المجتمع.

يشير المعنى الاشتقاقي لكلمة الثقافة الى الامتحان والتجربة والخبرة والعمل بكل اشكاله في الحياة الاجتماعية للانسان.. ان المعنى الاشتقاقي هذا يربط الثقافة الانسانية بالعمل الانساني والخبرة الحية والتجربة والمعايشة لمستجدات الحياة الاجتماعية، وهذا هو مايميز الثقافة عن التعليم والمثقف عن المتعلم. فالتعليم هو تلقي معلومات بشكل منهجي ومنظم، بطريقة مخططة لصياغة الفكر وتوجيه الوجدان الانساني وتحديد المسلك الاخلاقي على نحو معين وبالتالي إعادة تكرار صناعة صياغة سياقات الحياة الاجتماعية السائدة بشكل جديد ولكن بنفس المضمون القديم.

اما الثقافة فهي ثمرة المعايشة الحية التلقائية والاستجابة التلقائية لمتطلبات الحياة المتجددة في اغلب الاحيان، وهي ايضا ثمرة التمرس بالحياة والتفاعل الخلاق مع تجاربها وخبراتها المختلفة وقد يكون التعليم بحد ذاته احد مصادرها الاساسية، لذلك ليس بالضرورة ان يكون كل متعلم مثقفا وكل مثقف بالضرورة ان يكون متعلما لان التعليم هو اداة لبناء الثقافة.. فالثقافة بهذا المعنى العام والشامل هي البناء العلوي او الفوقي للمجتمع كما اسلفنا فهي بالتالي انعكاس للبناء التحتي المتمثل في شكل النظام الاقتصادي وعلاقات الانتاج السائدة في المجتمع، اي بمعنى اخر ما بات يعرف الان ان شكل النظام الاقتصادي وعلاقات الانتاج تشكل البناء التحتي للمجتمع والثقافة تشكل البناء الفوقي او العلوي للمجتمع الانساني، ولهذا تختلف الثقافة بطبيعتها باختلاف التجارب والخبرات والمواقف والطبقات الاجتماعية والمصالح الاجتماعية من مجتمع الى اخر ومن امة الى اخرى ومن مرحلة تاريخية الى اخرى. ولهذا فان للثقافة بالضرورة طابعا اجتماعيا طبقيا، حيث ان الثقافة الرسمية السائدة تكون انعكاسا لثقافة الطبقة المهيمنة والمسيطرة والمتحكمة والمحركة للنظام الاقتصادي.. وعليه فإذا كنا نجد في فلسفة أرسطو إحتقارا للعمل اليدوي فان ذلك كان تعبيراً عن واقع إنقسام المجتمع اليوناني القديم الى طبقتين، طبقة الاحرار يتأملون وطبقة العبيد يعملون ويكدحون في مزارع وحقول النبلاء الاحرار مقابل لقمة العيش، وكان العبيد جزءاً من ممتلكات النبلاء الاحرار. واذا كنا نجد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دعوات فردية في الادب والفنون ودعوات نفعية في الاخلاق ودعوات منافسية في الاقتصاد فان هذه الدعوات هي انعكاس للاوضاع الرأسمالية الجديدة الواعدة. واذا كنا نجد في المجتمعات الاشتراكية بعد قيام النظام الاشتراكي في بعض البلدان الاوربية والآسيوية وكوبا سيادة لروح الألتزام الجماعي في الادب والفن والاخلاق والسياسة جميعا، فان ذلك بغير شك انعكاس لعلاقات الانتاج الجديدة في المجتمع الاشتراكي التي تقوم على الملكية العامة المشتركة لكافة وسائل الانتاج.. من كل ما تقدم نلاحظ ان الثقافة هي تعبير عن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة في المجتمع، ولكنها ليست تعبيراً او انعكاسا آليا مباشراً كأنعكاس صورة الشيء في المرآة، اذ يدخل في تشكيل الثقافة عامل الارادة الانسانية والخلق والابداع للانسان. على ان ذلك لا يتناقض مع كونها تعبيراً عن الواقع الموضوعي السائد. والثقافة ليست مجرد تعبير عن هذا الواقع، بل هي كذلك وسيلة فعالة لتغييره. والصراع الثقافي في المجتمع هو دائما صراع اجتماعي، صراع بين اوضاع اجتماعية متناقضة، صراع الاضداد صراع بين القديم البالي والجديد الواعد يتخذ مظهرا فكريا او ادبيا او فنيا. والصراع الثقافي هذا هو التمهيد لثورة اجتماعية، وهو وسيلة لتجديد الحياة الاجتماعية وتطويرها تصاعديا نحو بناء مجتمع افضل واكثر تقدما وعدلا ورفاهية لحياة الانسان.. وبذلك تكون الثقافة وسيلة للتعبير عن الواقع الاجتماعي وفي ذات الوقت تكون اداة لتغييره، ولهذا فالثقافة هي التزام وموقف.. والثقافة اذ تشترك في الثورة الاجتماعية عندما يشتد الصراع بين المتناقضات في المجتمع من اجل تحرير الانسان وانعتاقه من قيود المجتمع القديم فانها في ذات الوقت تشترك في تحرير نفسها، ان الثقافة بتحريرها للمجتمعات البشرية من عوامل الاستغلال والتخلف، لا تصبح مجرد متعة لفئات اجتماعية محدودة محظوظة من البشر، وانما تصبح غذاء الروح للملايين من الناس، بل تصبح غاية ووسيلة من غايات ووسائل التقدم البشري وهدفا من اهدافه النبيلة الاصيلة.

لهذا نجد ان نهضة الامم نحو التقدم الى الامام في كافة مجالات الحياة لا يمكن لها ان تحصل اذا لم تحصل فيها اولا نهضة ثقافية شاملة، اي بمعنى اخر ان العنصر الفاعل والحاسم في تقدم الامم يبدأ بثورة ثقافية تقضي على اسباب التخلف الاجتماعي السائد في المجتمع والتي هي من مخلفات الثقافة القديمة.

عليه نجد ان الامم الاوربية والولايات المتحدة وبعض البلدان الآسيوية قد نهضت وتقدمت بعد قيام ثورة الاصلاح الديني في اوروبا والتي هي بحد ذاتها انطلاقة الثورة الثقافية لتحرير الانسان من قيود وسيطرة الكنيسة على كل مقدرات الحياة حيث تأخر وتخلف الادب والفن والعلوم واضطهد العلماء والادباء والفنانون ولذلك سميت قرون سيطرة الكنيسة على اوربا بالقرون المظلمة لانها سببت في تأخر وتخلف الحياة، وبذلك قد مهدت ثورة الاصلاح الديني الى بزوغ فجر عصر جديد هو عصر النهضة حيث اطلق العنان للفنانين والادباء والعلماء فحصلت ثورة ثقافية هائلة وشاملة أدت الى انحسار مد ونفوذ الثقافة القديمة المغطاة بالرداء الديني من خلال هيمنة الكنيسة. وقد مهدت هذه الثورة اي الثورة الثقافية الى انطلاق الثورة الصناعية والتكنولوجيا التي غيرت ثقافة وحضارة تلك الشعوب كما ونوعا وقضت على كل مرتكزات الحياة الاجتماعية القديمة البالية التي كانت اصلا تشكل عائقا امام نهضتها وتقدمها.. لم يبق لنا الا ان نقول متى ينهض الشرق من سباته ويقف على قدميه وينظر الى الامام ليرى الاخرين اين وصلوا؟ ويكف من السير الى الامام والنظر الى الوراء، الى ماضيه البالي المتخلف والبكاء على اطلاله المنهارة، ويظهر عصر النهضة الثقافية فيه، ويعيد النظر بما مستحوذ على افكاره وتطلعاته واعتقاده بان سبب تاخره وتخلفه عن الركب المتقدم هو عدم العودة الى ثقافة الماضي للاجداد والاسلاف وتطبيق شرائعه وقوانينه متناسيا ان الحياة تسير الى الامام ولا تتراجع الى الوراء، بالمهزلة القدر يالها من رؤية مغلوطة بائسة، انها تعاكس الحقيقة والواقع وتناقض منطق العقل والحياة. اتساءل لماذا لا نستفيد من تجارب الاخرين من الامم التي سبقتنا؟ لماذا هذا الاصرار الاخرق بالعودة الى الماضي والاعتقاد بان اجدادنا واسلافنا افهم منا بحياتنا المعاصرة؟ لماذا نخالف منطق الحياة؟ إلى متى نبقى اسرى لماضينا ووقودا لنيران عاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا التي ورثناها من الاجداد والتي اكل عليها الدهر وشرب..؟! لماذا لانركب كغيرنا مركب الحياة المتجددة الذي يقودنا الى بر الامان بسلام..؟ ان العيش بعقولنا في الماضي واجسادنا في الحاضر هو الجنون بعينه وانتحار، وان تحررنا من عبودية الماضي ليس رفضا لكل مافيه بالكامل بل علينا ان ناخذ من ماضينا كل مايلائم حياة حاضرنا ونطوره، وما لا يلائم حياتنا منه نضعه في متحف التاريخ ونحترمه ونعتز به كتراث وليس الا، هكذا يقول منطق العقل والحياة، اذا اردنا الحياة الحرة الكريمة اللائقة بنا كمخلوقات بشرية عاقلة واعية لوجودها الانساني وان لا نصبح مجرد مخلوقات حية لا تختلف عن غيرها من المخلوقات تتحكم بنا نواميس الطبيعة وتسيرنا دوافع الغريزة وغياب الوعي، الوعي الذي ينفرد به الانسان وحده، الوعي الذي يجعل الانسان مخيراً وليس مسيرا كما باقي الكائنات التي تسيرها غرائزها، الانسان بامتلاكه الوعي يستطيع ان يميز بين الصالح والطالح ويختار ما يراه مفيدا له ويرفض كل ماهو ضار له، فان الثقافة تنمي الوعي الانساني وتجعله قادراً على مواكبة تطور الحياة واستيعاب كل متغيراتها ومستجداتها بعقلانية ووعي وليس بدافع الغريزة كما هو الحال عند بقية الكائنات الاخرى في الطبيعة.

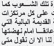

الكلمة / الكتابة الباهظة*

عبد الكريم كاظم

الكتابة تعبير عن حاجة ذهنية وروحية، موضوعية ومشروعة، وإن كانت تفتقد الأساس المادي لتحققها في الظروف الراهنة، فإن حنين الكاتب ينصبّ على استرجاع أوضاع ومواقف وتفاصيل استنفدت مهمتها بالشكل الذي كانت عليه في سالف الأيام، وبهذا المعنى يكون للكلمة/للكتابة صفتها النسبية وطبيعتها المتغيرة، غير الثابتة، البعيدة عن اي شكل من اشكال التقديس.

ثمة كتابة نحتاجها اليوم اكثر من اي وقت مضى، ذاكرتنا المستعادة هذه تقول لنا فيما تقول: أن الكتابة المختلفة الجريئة هي منهج وليست ايمانا اعمى، وهي فكر وممارسة معرفية نزيهة وليست فذلكات ومؤامرات ومفاخرة، وهي لا تقول شيئا الا بتميزها وخصوصيتها، إلا بحضورها، الا بإعادة إنتاجها، اعادة اكتشافها في الواقع الجديد فكل واقع هو جديد مثلما كل جديد هو واقع.

إننا في الواقع نتعلّم من جديد "ألف باء" الكتابة النقدية الجريئة وندرك حقائقها الجوهرية وذلك عبر الممارسة العملية والنظرة المعرفية وليس عبر العقائد الجامدة المغلقة والاغتيالات والاعتداءات والإقصاءات التي يتعرض لها الكاتب العراقي الذي رفع الحجاب عن المقدس.. الكاتب الذي لا يستعير حبره من اقلام الآخرين وهو يكتب فكره ويقول قوله عبر ممارسته ومقالاته وبحوثه ونصوصه، وما كان هذا ليلائم الآخرين في هذا الوقت الأغبر الذي يلغي المسافة بين الرصاصة والكلمة، لكن تبقى للكلمة انبثاقاتها مثلما للحقيقة عدالتها الخاصة.

تعيد سياسة الاغتيالات للكلمة واصحابها صياغة سؤال الحرية بشكل جديد يفيض عن الرقابة والقمع والمصادرة، ولذلك تستلزم حرية الكاتب بنى مؤسساتية ثقافية حقيقية وشجاعة تتيح له ذلك وتسعفه ولكنها تحتاج في ذات الوقت الى وضوح الرؤية التي تعرف معنى الحرية وهي تمارس حرية الموقف والنقد واقتراح البدائل الحياتية والمعرفية أو الحضارية والثقافية.

تتجلى حرية الكتابة والنقد، بالمعنى النسبي، في حياة ثقافية مجتمعية وفردية أيضا، تصوغها ذوات حرّة وتصححها مؤسسات ثقافية حرّة على مبعدة من ثقافة شكلانية تختزل الكل الاجتماعي أو الأفراد الى نخبة متعالية وتقيم الثقافة على الصمت والإذعان وبهذا تتكاثر العلل ولأن العلة، نفسها، ليست في ثقافة أو كتابة دون أخرى، كأن ثقافة بعينها هي الطاعون الذي يجب التخلص منه بالإقصاء أو الاغتيال وهذا القول يتضمن عنصرية ثقافية كالعنصرية نفسها التي تتضمنها الأحزاب النازية والإسلامية والمنظمات الصهيونية وبعض المؤسسات الثقافية المملوكة والرسمية.

في عالم اليوم، لا يمكن لأحد أو لبلد أو لفكر أن يبقى منعزلا ولا غنى عن التواصل والحوار والاعتراف بحق الآخر في الوجود والاختلاف، أن تحقيق هذه الإشارات الأساسية يجعلنا قريبين من الجمال والحياة والثقافة حسب ما نتصورها اليوم ونحلم بها مستقبلا، ففي الوقت الذي تنوء فيه الظلامية بكلكلها تصبح الكتابة الجريئة تغييرا كبيرا إذ يمكن إخراج الكلمات من الظلام اي أنه لا بُد من كتابة صريحة حتى وإن كانت باهظة.. كتابة تحمل بذور الحقيقة الكامنة في تلك اللحظة الفاصلة الحرجة التي يتعرف فيها الكاتب على معنى الحرية.. كتابة بعيدة عن المحاباة والمؤاخاة والتهريج والتشهير والصراخ والإنشائية والشعارات التعبوية وهذا يتطلب منا، بالضرورة، أن نكون حقيقيين.

إن هناك، كما نرى ونسمع ونقرأ، كتابٌ لا يزالون يعتقدون أن الخطأ في ديكتاتورية النظام الغارب وليس في الاحتلال، والخلل هنا ليس في التشخيص بل في النظرة لحقائق الأمور ولنمط الحياة الثقافية السابقة واللاحقة، أظن أن الناس والقراء على وجه الخصوص قد سئموا هذا السرد وهذه الكتابة.

اكاد اجزم، أحيانا، أن الاتهامات الطائشة والانزلاقات الكلامية والكتابات العصبية وردود الأفعال النارية تتحرك باتجاه إحراق معنى الكتابة فهذه الحقيقة المرّة التي أفرزتها حالة الفوضى في العراق قد تزيد من موجة الكراهية والإختزال والموت وتجعل من البعض "أبطالا" ومن البعض "أصناما".

تأخذ الثقافة التقليدية المناهضة للحريات بمسميات شتى: الكتابة الدعائية، الكاتب النرجسي والمتواطئ، حماية التراث، الثقافة الوطنية، النقد البناء وغيرها من المسميات الساكنة التي لا تبقي الكاتب ولا تذر الكتابة اي أنها تترجم في سكونها التقليدي مبدأ الوطنية الزائف، بينما ينصاع الفكر النقدي أو الكتابة الجريئة إلى مقولة التناقض.. إذ العلاقات والأفكار والنصوص هي ولا هي في آن. ولعل مبدأ التناقض الذي يحتضن تعددية العقل وتنوع الكتابة هو الذي شدّ بعض الأقلام ومنهم "قلم الكاتب العراقي سيف الخياط" إلى القول الجريء، كأن لغة الكتابة الجريئة تحرّر جزءا من العقل وتترك اجزاء اخرى معتقلة داخل لغة التهديد والوعيد، فإذا كان مبدأ الحرية يأمر بإطلاق العقل فإن هذا المبدأ يأمر في اتساقه وجرأته بالاعتراف بتعددية العقل خارج مفهوم السلطة والقمع والاغتيال وثقافة الصوت الواحد سواء أقامت في عقل فردي وحيد أم توزّعت في عقول جماعية مختلفة.

أن علاقة الكتابة بالحرية هي التي دفعت بسيف الخياط وأمثاله الى البحث المؤرق عن كتابة نقدية جديدة.. عن مفاهيم انسانية وتقاليد ثقافية وحضارية ترقى الى مستوى النظر، وهذه الكتابة تجلت في نسق، حتى ولو كان ضيقا، من المفاهيم النقدية الملازمة لطبيعة الكتابة المختلفة حيث يكون للكاتب في فرديته لغة خاصة به تكشف عن هذه الحرية أو الجرأة وتجسدها وبهذا يتحرر الكاتب الفرد من كل مبهم وطلسم وطوطم حقيقي قد يعتقله أو يرجمه بالرصاص لا بالحجارة.

وقصارى القول نُلمح، في هذا المقال، الى الفرق بين الكتابة الجريئة الرصينة وغريمتها الخائفة، فالأولى ثابتة ومتغيرة في آن وتدعو الى التغيير والتبشير، بعيدا عن النصائح والمواعظ الوطنية المستهلكة، أما الثانية فتزاملها المنفعة لتتقرب من السلطة.. فهي بالسلطة تبدأ وإليها تنتهي، بينما الدفاع عن الحياة والجمال وحرية الكلمة لا يجلب منفعة كالأولى لأنه يستضيء بشكل مختلف من القيم والمعايير وربما يمكن تلخيص الأمر كله في هذه العبارات: الكتابة الجريئة، بالمعنى النسبي ايضا، ترتبط بالمعرفة المتجددة والحقيقة الساطعة والبحث المتجدد عن خلاص الثقافة المعتقلة وسعادة البشر ونصاعة الكلمة.

* كتابات